عوامـل الهزيمـة

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت، ويخرج الميت من الحيّ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ الميامين، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً ....

أمّا بعد أيها المسلمون: تحدثنا معكم في درس سابق عن النصر، واليوم نحدثكم عن الهزيمة التي يعيشها المسلمون، فالمسلمون اليوم يعيشون مرحلة انهزامية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، يعيشون هزيمة حسية في أرضهم، وهزيمة معنوية في أنفسهم، فاليهود والأمريكان يعبثون بهم ليل نهار، ويستخرجون كنوز ما في أرضهم، من نفط وغاز وخامات، وينتهكون أعراضهم ومقدساتهم، في فلسطين وفي غيرها، وهم صامتون ومُخَدّرون، فالمسلمون رغم أنهم يبلغون المليار أو يزيدون، لكنهم مع ذلك هزموا و أُهينُوا، أمام حفنة قليلة من اليهود وأعوانهم، وذلك لأنهم غثاء كغثاء السيل، كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الله المهابة من قلوب**

أعدائكم ، ويصيبكم الوهن ، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ ، قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

وعليه يمكن أن نقول: إن الهزيمة التي يعيشها المسلمون اليوم لم تأت من فراغ ، بل كان يسبقها عوامل وأسباب ، أول هذه العوامل:

١-الظلم وعدم توخي العدل: فالذي يتتبع سير الظالمين ونهايتهم ، يرى ما حل بهم من العار والدمار ، قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل : ٥١، ٥٢].

ثانيا: من عوامل الهزيمة

٢- النفاق والمنافقون: في الأمة منافقون نفاقاً عملياً واعتقادياً ، فيكفرون برسالة محمد -عليه الصلاة والسلام- ويستهزئون بشعائرالإسلام التعبدية، كالصلاة والطواف والحجر الأسود ، الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب ، وهو يَنْزِلُ الخندق ، وقد ربط على بطنه حجراً أو حجرين، في وقت بلغت فيه القلوب الحناجر ، واجتمعت فيه قوات هائلة من المشركين في الخارج، واليهود والمنافقون من الداخل، فضرب ﷺ على الكدية التي عرضت للصحابة، فَلَمَعَ كالبارق، فتبسم ﷺ ثم قال: أُريتُ قصور كسرى، وسوف يفتحها الله علي ، فضحك المنافقون وتغامزوا ، وقالوا: عجباً لهذا الرجل، يريد قصور كسرى وفارس ، ونحن الواحد منا لا يستطيع أن يقضي حاجته من الخوف ، ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى على لسانهم : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب :١٢] يقولون ذلك ، ولكن إي ورب الكعبة ، لقد دخلت كتائبه مكبّرة مهلّلة ، تدك معاقل الكافرين

والملحدين، وفُتحتْ قصور كسرى وفارس،وطوقت بعدلها العالم الحيران، ووصلت كتائبه الى قرطبة والحمراء ، وسبحت بحمد الله على نهر اللواظ ، مصداقاً لرسالته ولعهده مع الله عز وجل ، يجلس ﷺ في غار ثور ، فيقول له أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فيتبسم ﷺ ويقول: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما، ويقول لسراقة وهو يلاحقه ويطارده: سوف تسور بسواري كسرى يا سراقة، فيتبسم سراقة ويقول في نفسه: هذا الطريد الشريد ، الذي خرج خائفاً من أهل مكة ، يَعِدُني بسواري كسرى العظيم ، أعظم إمبراطور في العالم ، وبعد سنوات ، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يُسَورُ سراقة بسواري كسرى، فيبكي سراقة ويقول: صدق خليلي ، صدق خليلي ، صدق خليلي) هذا هو الحق ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الطور : ١٥].

العامل الثالث من عوامل الهزيمة:

٣. الإرجاف والتخذيل: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٠] المرجفون: أهل الشائعات دائماً يقولون ، حدث: كذا وكذا ، وسمعنا: كذا وكذا ، وهؤلاء قوم ليس لهم عمل في الدنيا إلّا نقل الشائعات ، ويُسَمَونَ وكالة الكذب ، ووكالة يقولون ، والرسول ﷺ في الحديث الصحيح يقول: (بئس مطية الرجل زعموا) فزعموا ، وسمعتُ ، وأخبرني فلان ، مرض خطير ، انتشر في الأمة واستشرى ، وأفسد كثيراً من قلوب الناس ، وجعلهم أمام شبح من الخيال ، يعيشون ليل نهار ، لأن هذه الشائعات أصبحت تنتشر في الأمّة انتشار الهشيم ، وموقفنا منها الأول يجب التثبت ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ

فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الحجرات:٦] ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

الأمر الثاني: أن لا نحدث بكل ما سمعنا، استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم (كفى بالمرء كذباً، أن يحدث بكل ما سمع) هذا موقفنا من المرجفين والإرجاف، وأكثر ما يُدارُ الآن في الساحة إرجاف، ويموت بعض الناس من الإرجافات، ومن الخوف، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وفي الناس مخذلون، كأن يقولون: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ولا طاقة لنا اليوم بإسرائيل، فهي تملك السلاح والعتاد، وتملك الدبابات، وسمعنا من بعض هؤلاء المخذلين، يقولون: عندهم المزدوج، الذي يطلقونه من غرف النوم، وعندهم الشعاع، الذي يقسم الدبابة إلى نصفين، وهكذا دواليك من هذه الشائعات، التي ما حدثت ولا صُنعت في العالم حتى اليوم، فإذا سمع الناس هذه الأراجيف وهذه الأساطير يموتون من شدة الخوف، مادام هناك سلاح يقسم الدبابة بالشعاع فكيف ونحن بشر، وهؤلاء المرجفين والمخذّلين دائماً في صفوف المسلمين يتواجدون،حتى كانوا في صفوف الرسول ﷺ، والله -عز وجل- قد حذر منهم حيث قال: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ [التوبة :٤٧] لما خرج ﷺ إلى أحد، بألف مقاتل، انخذل عبد الله بن أبي في وسط الطريق، بثلث الجيش، وقال لمن تبعوه: ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران:١٦٨] يعني الصحابة، يعني: أن الرسول ﷺ كان مخطئاً، وهل كان -عليه الصلاة والسلام- يريد أرضا أو وطناً، وهل كان يريد بحيرة أو مستعمرة، كلا،بل كان يريد أن تُسْلِمَ الكرة الأرضية للا إله إلّا

الله ، وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، فيقول هذا المنافق: ما ندري برأي الرسول ﷺ ؟، وما نعرف سبب القتال الذي يدعونا اليه كما يقول بعض المخذلين اليوم: الراية لم تتضح بعد ، فيا عدو الله ، ما تعرف سبب هذا القتال ، ويا مجرم ، ما تعرف أن هذا القتال بين: لا إله إلّا الله وبين الصليب والأوثان ، ما تعرف أنه بين التوحيد والإلحاد ، ما تعرف أنه بين الذين قالوا: إنا نصارى والذين آمنوا، ولما قُتِلَ بعض الصحابة في أُحد، قال ذلك المنافق الرعديد ، عبد الله بن أبي: يا ليتهم أطاعوني ، نصحتهم أن لا يخرجوا إلى المعركة ، فما أطاعوني فقتلوا ، فنزل قوله تعالى ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[آل عمران : ١٦٨] فمات هذا المنافق بعد شهرين من المعركة ، ولُفَّ بأكفانه ودُسَّ أنفه في التراب ، فأيهما أشرف ميتة ، هذا المنافق الذي مات على فراشه كجيفة حمار ، أم أنس بن النضر الذي قُتل في أحد وهو يقول:إليك عني يا سعد، والذي نفسي بيده، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، أيها أشرف ميته، أبو جابر(عبد الله بن عمرو الأنصاري)الذي يقول عنه ﷺ لابنه جابر، بعدما قُتلَ: (يا جابر، ابكي أو لا تبكي ، فو الذي نفسي بيده ، ما زالت الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته، والذي نفسي بيده يا جابر : لقد كلّم الله أباك كفاحاً بدون ترجمان ، فقال: تمنى ، قال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى) وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ، ثم أُحي ثم أُقتل، ثم أُحي ثم أُقتل).

كذلك من عوامل الهزيمة:

٤- اشتغال الأمة بالتوافه في حياتها على كبار المسائل: تجد بعض المنشورات والدعايات عن الرموز والهوايات ، شبابنا أبناء الإسلام ، أبناء لا إله إلّا

الله هوايتهم المراسلة أو تعليق الصور ، هؤلاء الشباب لا فرق بينهم وبين الذين يعيشون في باريس أو موسكو أو في واشنطن ، أما الطفل المسلم الذي يعيش في بلاد الإسلام له رسالة أخرى ، مراسلته أن يرسل في الأرض لا إله إلا الله ، مراسلته ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء :١٠٧] مراسلته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة :٦٧] رسالته كرسالة مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام إلى المدينة ، أو كرسالة معاذ بن جبل الذي أرسله ﷺ إلى اليمن ، فقال له: «**يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله**» ، أما شبابنا اليوم فهم مشغولون بالأندية الرياضية ولعب الكرة ، وأصبحت الدول العربية والإسلامية، تنفق ملايين الدولارات لتحسين الأوضاع الشبابية والرياضية، وتشيّد الملاعب الزراعية والدولية، وعمل غرف مغلقة للتنس والطاولة ، وغيرها من التوافه التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، بينما أعدائنا من اليهود والنصارى يضعون الخطط والبرامج ،ويصنعون السلاح الجرثومي والنووي ، وطائرات الأبتشي، وإف ١٦ ليقتلوا بها إخواننا المسلمين في فلسطين وفي أفغانستان، ويذبحونهم كالنعاج ، ونحن مشغولون بالكرة والمنتخبات ، وتشييد الملاعب والمنتديات ، فبالله عليكم: ماذا تنتظرون من شباب هوايتهم المراسلة أو لعب الكرة ، فبعضهم يعيش على ذلك حتي يبلغ العشرين أو الثلاثين من عمره ، وابن عباس رضي الله عنهما في العاشرة من عمره يفتي الأمة، دخل على ميمونة بنت الحارث وعمره ثمان سنوات كما في الصحيحين ، وحفظ لنا حديث: (اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض،

ولك الحمد، أنت قيِّمُ السماوات والأرض)كان يدخل مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس الشورى،وهو ابن سبعة عشر سنة ، محمد ابن القاسم ، كان قائد المسلمين في معركة ضد أهل السند والهند ، وعمره سبعة عشر سنة ، وانتصر عليهم بإذن الله ، أما شبابنا اليوم ، فيصل عمره إلى الثلاثين أو الأربعين ، وهو مغني مطبل ، أو كابتن فريق ، أو مدرب منتخب ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

كذلك من عوامل الهزيمة:

٥.إرتكاب الذنوب والمعاصي: فإن أكثر ما يهزمنا في المعارك الذنوب والمعاصي، الجيش العربي ، جيش القوميين والوطنيين في الستينات والسبعينات ، عندما أراد أن يدخل فلسطين عام ٦٧م ، كان أفراده مشدوهين ومُسْكَرين بأغاني أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ، أما اليهود ، فقد استطاعوا أن يخترقوا دفاعاتهم الجوية والأرضية ، وأن يصلوا إلى عقر دارهم ، وأن يحتلوا سيناء المصرية ، والجولان السورية ، والقدس الشرقية، وهم مازالوا مع أم كلثوم، هل رأى الحب سكارى مثلنا ، فوالله يا قوميين ويا وطنيين لم يرى الحب سكارى من أمثالكم ، ولم يشهد التاريخ أذناباً من أمثالكم ، فقد سجّلَكم التاريخ في مزبلته إلى الأبد ، وستبقون كذلك.

إذاً أيها المسلمون: الذنوب والمعاصي سبب لسقوط الأمم وخراب الديار، المسلمون في العالم الإسلامي لما غزاهم التتار لم يكن عندهم دروس في الجهاد والبذل والتضحيات ، وكانوا مُغْرَقين في وحل الخطايا والرذيلات، وكانت الجواري تباع في بغداد، وكنّ يكتبن أبيات الغزل على خدودهن، وينزلن إلى الأسواق يغنين ، فسلط الله عليهم جنكيز خان، مثل الحمار ،

لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، أتى إليهم من سيبريا كالدب الأسود ، فدخل عليهم وهم مخمورين بالموسيقى ، والبلوت ، والكيرم ، والباصرة، فدمّرها مع أصحابها في نهر دجلة ، أندلس: كان أميراً من الأمراء المترفين الذين شُغفوا بحب النساء ، وارتكاب الخناء، فغزاه (ابن تاشفين) وأخذ أرضه ، وقيده في الأسر ، فقالت له أمه وهو يبكي مأسوراً: ابكي مثل النساء ، مجداً تولى ، لم تحافظ عليه مثل الرجال ، وهكذا لن تنتصر هذه الأمة إلّا بعد أن تعود إلى دينها وإسلامها ، وتترك الفواحش والآثام ، ابن تيمية -رحمه الله- وقف على المنبر في الشام ، لما غزاهم التتار ، يذكرهم بالله وباليوم الآخر ، وأن يعودوا إلى سالف مجدهم وعصرهم ، ثم أعلن حالة الحرب والجهاد ، وقال: أيها الناس ، أفطروا، فإنكم في جهاد ، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان ، فيقولون له: كيف نغلب التتار ، قال: والله لننتصرن عليهم ، فيقول السلطان أمامه وهو يرجف من شدة الخوف: قل إن شاء الله ، قال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، فينتصرون بإذن الله في شقحة ، ويكسرون رؤوس التتار ، وترتفع لا إله إلّا الله ، والله أكبر .

العامل السادس من عوامل الهزيمة:

٦-الإغترار بالكثرة والقوة: فبعض الدول تغتر بكثرة جيوشها وأعدادها، وَيَنْسَونَ أن قوة الله لا تغلب ، الصحابة رضوان الله عليهم ، قد مرّوا بهذه التجربة ، كانوا في بدر ثلاثمائة ، والكفار ما يقارب ألفاً ، وانتصروا عليهم، ولكنهم في حنين ، كان المسلمون اثنى عشر ألفاً ، وهذا ليس عدداً سهلاً يستهان به ، كما جاء في الحديث الحسن:(لا يُغلبُ اثنى عشر ألفاً من قلة) فيقول أبو بكر رضي الله عنه : لن نغلب اليوم من قلة ، فلمّا بدأت المعركة ، وبدأ الهجوم ، ذهب الاثنى عشر ألفًا ، طيش ، فيش ، ولم يبق معه ﷺ إلّا ثمانين

رجلاً من كبار الصحابة ، كما روى ذلك ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، وحنين: وادٍ بين مكة والطائف ، فولّى عنه الناس، وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، قدمنا ولم نولهم الأدبار) وفي الصحيحين: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، أن رجلاً، قال له: يا أبا عمارة ، أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، إن هوازن كانوا قوماً رماة استقبلونا بالسهام فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان ، آخذ بلجام بغلته البيضاء ، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب») فأنزل الله عزوجل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة:٢٥] يقول: أين كثرتكم؟ وأين قوتكم؟ وأين إثنى عشر ألفًا؟ أنتم في بدر ثلاثمائة ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٣] أنتم في بدر،كنتم قليلي العدد والعدة لكنكم كنتم صادقين مع الله،كنتم صادقين بلا إله إلا الله، أما في حنين فقد كنتم اثنى عشر ألفاً ،ولكن مع ذلك وليتم الأدبار، إذن ما تنفع الكثرة وما تنفع القوة المنفصلة عن الله -عزوجل- في معركة القادسية كان الفرسُ عددهمْ ما يقارب مائتين وثمانين ألف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كان عدد جيشه ثمانية وعشرون ألفًا ، وقيل أربعة وعشرون ألفًا ، ومع ذلك سحقهم سحقاً ، ودمرهم تدميراً، الروم في معركة اليرموك، كانوا ثلاثمائة ألف ، وخالد بن الوليد معه ثلاثون ألف، ألقاهم في النهر ، مثل: الجرذان ، وانتصر عليهم بإذن الله .

العامل السابع من عوامل الهزيمة:

٧-التنازع والإختلاف: فنحن أمة لا تنتصر وهي مختلفة متفرقة، استناداً إلى قوله تعالى ﴿ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾[آل عمران:١٥٢] كما حصل في غزوة أحد، فالإختلاف بمفهومه العام: كله شر، ليس فيه خير، ولهذا وقع في الأمة بسبب هذا الخلاف فتن عظيمة، وأمور تنكرونها، وما حصل للصحابة -رضوان الله عليهم- في حرب الجمل وفي صفين إلّا نوعاً من أنواع هذا الخلاف المذموم، فالمسلمون في تلك الحقبة السوداء لم يستطيعوا أن يفتحوا مدينة واحدة، وتوقفت الفتوحات الإسلامية التي كانت في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، وقُتِلَ في هذه الفتنِ من المسلمين، من أهل الشام: عشرون ألفاً، ومن أهل العراق: أربعون ألفاً، وهذا مصداق لقوله-عليه الصلاة والسلام-: **(يئس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)** وأخبر ﷺ أن إحدى زوجاته، تَنْبُحُ عليها كلاب الحوأب، عند نزول الفتن وحصول الفرقة والاختلاف بين المسلمين، دليل ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث قيس، أنه قال: لما أقبلت عائشة في مسيرها إلى وقعة الجمل، وبلغت مياه بني عامر، سمعت نباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أيتكنّ يَنْبُحُ عليها كلاب الحوأب)** وجاء في الحديث الغريب، الذي رواه البيهقي، أن النبي ﷺ ذَكَرَ أن بعض أمهات المؤمنين، تخرج في المسلمين، فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال لها: انظري يا حُميراء، أن لا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي وقال: يا علي، إن وليتَ من أمرها شيئاً، فارفق بها) وهذا الحديث غريب جداً، كما جاء في البداية والنهاية.

العامل الثامن من عوامل الهزيمة:

٨-ضعف الهوية الإسلامية والإيمانية: فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة من غيره أذلنا الله ، والإسلام دين القوة والعزة ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران:١٣٩] والمسلمون انتصروا على أعدائهم عندما كانوا يفتخرون بالإسلام،ويحملون لا إله إلّا الله ، يُرْوَى أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرسل رسولاً إلى رستم ، عندما كان الإسلام عزيزاً ، وهو ربعي بن عامر رضي الله عنه فدخل على رستم في قصره المشيد ، وبساطه الوفير ، المحلى بالذهب والفضة والحرير ، دخل ربعي إلى هذا القصر بثيابه الرثة ، راكب على فرسه ، ولم يزل كذلك حتى داس بأرجل فرسه ذلك البساط ، فقالوا له: ضع سلاحك ، وأوقف فرسك، قال: إن تركتموني هكذا ، وإلّا رجعت عنكم ، فقال رستم: دعوه، فنزل يتوكأ على رمحه فوق نَمَارِقِهِمْ ووسائدهم ، فيخرقها ويمزقها، حتى وصل إلى رستم فقال له: مالذي جاء بكم إلى بلادنا؟ فقال ربعي بن عامر : الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، ومن أبى ، قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، فقال رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال رستم: وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا؟ قال ربعي رضي الله عنه : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء أكثر من ثلاث ، أي ثلاثة أيام ، الله أكبر ، هذه عزة المسلم التي لا يمكن أن يَنَالَهَا إلّا بالإسلام ، والاعتزاز بلا إله إلّا الله ، أما أن يصبح المسلمون أذناً لأسيادهم الغربيين والكافرين ، فلا ورب الكعبة ، لن ترضى عنهم الدول الكافرة

ولا أمريكا ، حتى لو سجدوا لها من دون الله وعبدوها، وأخلصوا لها من دون الله ، فإنها لن ترضى عنهم ، ولن تغفر لهم ، بل ستدخلهم أمريكا في نارها وعذابها ، وتُسْقِيهِمْ من زقّومها ، ومن حميمها الغساق ، وتغذي أجسادهم المنسلخة من لحم الخنازير ، وصدق الله إذ يقول ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وعليه نقول: يجب على المسلمين أن يعتزوا بدينهم وإسلامهم ، مهما تنازل المتنازلون ، وتخاذل المتخاذلون ، وقد أعجبني قصة ذلك الشاب الإنجليزي الذي أسلم ، وكان معتزاً بإسلامه ، وبعد شهر من إسلامه، سمع عن وظيفة شاغرة في إحدى الشركات الإنجليزية ، فأحب أن يتقدم إليها ، ولما ذهب إلى هناك ، وجد أناسٌ كثير من غير المسلمين ، يتسابقون على هذه الوظيفة ، لكنه واصل سعيه وتقدمه ، وعند المقابلة الشخصية، ذكر لهم بأنه قد غيّر دينه من النصرانية إلى الإسلام ، وغيّر اسمه ، فكان اسمه (رود) وأصبح الآن (عمر) ثم طلب منهم أن يعطوه وقتاً لأداء الصلاة أثناء سير العمل ، فما كان من هذه الشركة إلّا أن وافقوا عليه، وقالوا له: نحن نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على إتخاذ القرارات، وأنت عندك القدرة على ذلك ، لأنك غيّرت دينك وغيّرت إسمك ، وهكذا من اعتز بالله ، أعزه الله ، ومن ابتغى العزة من غيره ، أذله الله ، وإليكم مثلاً آخر في العزة والإباء ، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يضرب لنا أروع الأمثلة في هذا المجال ، ويرهبُ أعداء الله وليس بالدبابة ، ولا بالمدفعية ، وإنما برسالة قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن الوليد ، سيف الله إلى كسرى، أمّا بعد: يا كسرى ، أسلم تسلم، وإلّا فقد جئتك بقوم

يحبون الموت ، كما تحبون أنتم الحياة ، قَرَأهَا كسرى فارتعدت فرائصه، وتفككت عظامه ، وإذ به يأخذ القلم ، ويرسل رسالة إلى ملك الصين ، يطلب منه المدد ، أتدرون ماذا ردّ عليه ، إنه ردّ يعتذرْ ، وقال: يا كسرى ، لا قِبَلَ لي بقتال قوم إذا أرادوا خلع الجبال لخلعوها، وكذلك أتى خالد بن الوليد رضي الله عنه الروم بعزة وأنفة ، فعرض عليهم: إمّا الإسلام، وإمّا الجزية وإمّا السيف ، فقال له ماهان زعيم الروم: أَمَا قد عَلِمْنَا أن ما أخرجكم من بلادكم إلّا الجوع والحاجة ، فهلُمُّوا إليَّ أُعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً ، وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها ، فقال خالد رضي الله عنه : إنه لم يُخرجنا من ديارنا ما ذَكَرْتَ ، غير أنّا قومٌ نشرب الدماء شرباً ، وقد بلغنا أنه لا دَمَ أطيبُ ، من دم الروم ، فأتينا لكي نشربها، والسؤال الذي يطرح نفسه: من أين اكتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه العزة ، وهذا الشموخ ؟ اكتسبها من الإعتصام بكتاب الله وبسُنَّة رسوله -عليه الصلاة والسلام - لأن خالد رضي الله عنه يعتز بالله ، ويحمل بين جوانحه لا إله إلّا الله .

التاسع من عوامل الهزيمة:

٩-الإسراف في المباحات والملهيات: نحن الآن أُمةُ عمارات وسيارات ، وفلل ومطعومات ومشروبات ، ولسنا أمة جهاد ، الآن نجد الإعلانات ، التيّ في الشوارع والأسواق ، إما عن: مطعوم ، أو مشروب ، أو ملبوس ، إعلان العطورات ، يأخذ ثلاثُ صفحات من المجلة اليومية ، أما إعلان السينما والسهرات الليلية ، فحدث ولا حرج ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، دخل أحد الدعاة لأول مرة في ألمانيا ، في مدينة موينخ ، فوجد إعلان هناك، مكتوب فيه: أنت لا تعرف كفرات يوكوهاما ، فاستأجر لوحة

بجانبها وكتب فيها: أنت لا تعرف الإسلام ، إن كنت تريد أن تعرف الإسلام، فاتصل بتلفون: كذا ، وكذا ، ووضع عنوانه في المدينة التي نزل فيها ، وبعد سنة من هذا الإعلان ، أسلم على يديه أكثر من مائتين وخمسون ألفًا من الألمان ، الله أكبر ، فأين الدعايات الإسلامية ، وأين الإعلانات عن الإسلام ، أمة تهتم بالإعلانات والمأكولات والمشروبات ، وكأن المستقبليّة عند كثير من المسلمين ، أن يحصل على وظيفة كبيرة ، وأن يبني له فلّة واسعة مريحة ، وأن يشتري سيارة فاخرة فارهة ، فإذا حصل على ذلك كله ، كأنه خاض: بدرًا ، وأحدًا ، واليرموك ، وعين جالوت، وأنا أقول: أن المستقبليّة للمسلمين أن تخرج إسرائيل من فلسطين ، وأن توقف أمريكا إعتداءاتها اليومية والمتكررة ضد أطفالنا ونساءنا في العراق وأفغانستان، المستقبليّة للإسلام أن تسود في الأرض لا إله إلّا الله ، وأن يُحْكَمَ بشرع الله فلا يظن المسلمون أنهم فائزون ، بامتلاكهم المال والجاه والسلطان والشهادات ، الرسول ﷺ لم يربي أصحابه على هذا ، ولم يعدهم بشيء من الدنيا قليل ، وما كان في القرآن وعد بملك أو وعد بمال ، أو وعد بجاه أو سلطان ، إنما كان الوعد هو الجنة ، يأتي إليه الأنصار في بيعة العقبة ويقولون: يا رسول الله ، ما لنا إذا آويناك ونصرناك؟ أي: ماذا تعطينا ، فيقول: لكم الجنة) ما عنده شيء ، عنده خبز الشعير ، عنده بيوتٌ من طين ، تقول عائشة رضي الله عنها : والله إنا كنّا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلّة ، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، إلّا الأسودان ، التمر والماء) وثبت في الصحيحين: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ ، وإذا هو مضطجعٌ على رمال حصير ، فهملت عينا عمر ، فقال - عليه الصلاة والسلام-: ما لك يا عمر، قال: يا رسول الله ، أنت أكرم الخلق على الله،

وكسرى وقيصر يتنعمون فيما هم فيه ، فاحمرَّ وجهه ﷺ ، ثم قال: (أوفي شك أنت يا بن الخطاب ، إن أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) ، وفي رواية لمسلم (أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) وكذلك الصحابة -رضوان الله عليهم - الذين قدّموا أكثر التضحيات ، ولم يَظهروا بشيء من حدائق الدنيا وبَهَارجهَا ، ولا بمفروشاتها وقطائفها ، وذهبوا إلى الله مولاهم الحق ، وأتى الوليد بن يزيد ، ومروان بن الحمار ، وسلاطين الدولة العثمانية ، والدكتاتوريين في هذه الأمة ، وأخذوا المفروشات والمطعومات وسكنوا القصور والفلل ، فما استفاد الناس منهم شيئاً ، وما زادوا الأمة إلّا ذلاً وهواناً وتركيعاً لليهود والنصارى .

نسأل الله تعالى أن يخلصنا منهم ومن شرورهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

OBEIKAN.COM